مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 02 / العـدد 04 / ديسمبر 2020 / ص ص 180 - 196
Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

أحداث الغاز الصخري بعين صالح ودورها في تنمية الوعي لدى شباب المنطقة

Shale gas events in Ain Salah and its role in developing awareness among the youth of the region

عبد الجليل ساقني

SAGUENI ABDELDJALIL

جامعة تامنغست (الجزائر)، البريد الإلكتروني: djalilsocio@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/15 تاريخ القبول: 2020/12/08 تاريخ النشر: 2020/12/15

ملخص:

سنة 2015 كانت سنة حافلة بالحراك الاجتماعي في مدينة عين صالح الواقعة بوسط الصحراء الجزائرية، فقد خرج سكان المنطقة ضد قرار الحكومة والقاضي بالتنقيب عن الغاز الصخري، هذا الأخير الذي يعد مورد طاقوي تسعى دول عديدة لجعله بديل للنفط والغاز الطبيعي إلا أن استخراجه صعب ويتطلب ذلك الإضرار بالبيئة بما فيها وبمن فيها، لقد عرفت مظاهرات الصخري كما سماها سكان عين صالح بطابعها السلمي الراقي الذي عبر عن وعي ونضج لدى الشباب، الذين غالبا ما يلجأون للقوة أو العنف لتحقيق المكاسب، غير أنهم حكموا العقل بآليات الحوار، التشاور والاقناع، وفي هذه الدراسة المونوغرافية في طابعها الوصفي تم الحديث عن حراك الغاز الصخري بمدينة عين صالح وعن الدور المهم والقيادي للشباب باختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية، وكيف أثر هذا الحراك على حياة الناس بعين صالح وما جاورها،

كلمات مفتاحية: الشباب، الوعي، الغاز الصخري، الحراك

ABSTRACT:

2015 was a year of social mobility in the city of Ain Salah in the central Algerian Desert, the residents of the region came out against the government's decision to explore for shale gas, the latter, which is a powerful resource that many countries seek to make an alternative to oil and natural gas, but its extraction is difficult and requires harm to the environment and human beings, these demonstrations were characterized by a peaceful nature that expressed the awareness of young people, who often resort to force or violence to achieve gains, but this time they used the mind and mechanisms of dialogue, consultation and persuasion, In this study, we talked about the movement of shale gas in Ain Salah city and about the important and leadership role of young people at different levels of culture and society, and how this movement affected people's lives with a good eye and beyond.

Keywords: *Youth, Awareness, Shale Gas, Mobility*

- المؤلف المرسل: عبد الجليل ساقني، البريد الإلكتروني: djalilsocio@gmail.com

1-مدخل:

بسبب انهيار أسعار النفط وتراجع مداخيل الدولة الجزائرية إقترحت السلطة حل بديل سيساهم في حل الأزمة التي تشهدها البلاد، وتمثل الحل في التنقيب عن موارد الطاقة غير التقليدية وإستغلال الغاز الصخري بجنوب الجزائر، حيث شاع مؤخرا بأن أراضي الصحراء الجزائرية تحوي ثالث أكبر إحتياطي عالمي لمخزون الغاز الصخري في مناطق(إليزي، تيميمون، رقان، تندوف، بشار، عين صالح) وتم تحديد اهنت التابعة لعين صالح كأول منطقة لبدء تجارب انتاج هذا الغاز، وقد تم اتخاذ هذا القرار الفوقي بدون استشارات مسبقة أو بدون حملات اقناع أو ما شابه، كون أن عملية إستغلال الغاز الصخري لها تبعات خطيرة على البيئة وصحة الانسان وما زاد الطين بلة هو أن العملية كان من المفترض تنفيذها في أماكن قريبة جدا من المدن والقرى، هذا ما دفع بسكان منطقة تيديكلت عموما إلى رفض هذا الاجراء القمعي التعسفي والخروج في حراك سلمي للمطالبة بإيقاف عمليات التنقيب.

لقد كان لشباب المنطقة دور محوري في هذه الأحداث عبر عن نضج ووعي ثقافي واجتماعي وسياسي فريد من نوعه، فلم يسبق للمنطقة أن عاشت احتجاجات ومظاهرات سلمية ومنظمة مشابهة. وقد ساهمت اللقاءات والمحاضرات المختلفة للطبقة المثقفة في توعية الشباب بمستوياتهم المختلفة مما ساعد على حشد الجميع للمساندة في الاحتجاجات السلمية التي استمرت لأشهر والتي دفعت بالسلطة الى وقف العملية مؤقتا، ومن خلال هذا البحث سنحاول تحليل هذه الوقائع من أجل فهم أعمق لعملية التنقيب واستخراج الغاز الصخري وهل كان للجزائر القدرة الكافية على الانطلاق في هذا الاستثمار الاستراتيجي الحساس، كما سيساهم البحث بتحليلاته الجزئية في معرفة إلى أي مدى ساهمت هذه الاحداث وهذا الحراك الاجتماعي في توعية شباب وسكان منطقة عين صالح.

2-حقائق عن الغاز الصخري:

يعتبر الغاز الطبيعي أحد مصادر الطاقة حيث يتكون من كائنات مجهرية ماتت وتراكمت في طبقات المحيطات والأرض وعبر آلاف السنين قام الضغط والحرارة ضمن الطبقات الرسوبية بتحويل هذه المواد العضوية إلى غاز طبيعي، وبعد استخراجه يتم نقله وتمريره في انابيب ضمن شبكة أنابيب ضخمة، ويعتبر الغاز الطبيعي من أفضل انواع الوقود المستخدم حاليا وذلك لتميزه بصفات تجعل امكانية التلوث من استخدامه ضئيلة جدا، كون ان احتراقه التام يؤدي إلى انتاج الماء وثاني اكسيد الكربون، بدلا من غاز أول اكسيد الكربون السام، وكذلك احتوائه على كميات صغيرة جدا من الشوائب والتي يمكن فصلها بتكلفة منخفضة، زيادة على ضآلة أكاسيد الكبريت الناتجة عنه مقارنة بالمصادر الاخرى للوقود الاحفوري، بالإضافة الى انه في حالة حرق الغاز الطبيعي تحت درجة حرارة عالية جدا لإنتاج الكهرباء، فإن كميات من اكاسيد النيتروجين قد تنتج ولكن في المقابل نجد أن التلوث الحراري يكون متدنيا نتيجة لكفاءات الاحتراق، وبالنسبة للإحتياطي الاكبر للغاز الطبيعي فيقع في دول الاتحاد السوفياتي سابقا اذ تحتوي هذه المنطقة على اكثر من 40% من احتياطي العالم، وتأتي بعدها دول الاوبك التي تحتوي على 40% أما الباقي فإنه يتوزع على انحاء مختلفة من العالم، ونسبة الاحتياطي الى المنتج في الوقت الراهن بالنسبة الى الغاز الطبيعي هي 65 عاما (فراج، 2009 ص.19) .

أما الغاز الصخري: هو غاز طبيعي يتولد داخل صخور السجيل التي تحتوي على النفط بفعل الحرارة والضغط ويبقى محبوسا داخل تجويفات تلك الصخور الصلدة التي لا تسمح بنفاذه، وتتميز تكوينات صخور السجيل الموجودة في اعماق سحيقة تصل الى 1000م تحت سطح الارض باحتوائها على نسبة عالية من المواد العضوية الهيدروكربونية تتراوح بين 0.5% و25% ، وحسب بيانات إدارة معلومات الطاقة الامريكية التي صدرت في أفريل 2011 أن الغاز الصخري يتواجد في 33 دولة في العالم أربعة منها تستحوذ على ما نسبته 52% من اجمالي المخزون العالمي، وتتبوأ الصين مركز الصدارة في المخزونات القابلة

للإستخراج والتي تقدر بنحو 1215 ترليون قدم مكعب، تليها الولايات المتحدة الامريكية بنحو 862 ترليون، ثم الارجنتين بنحو 774 ترليون قدم مكعب، المكسيك بنحو 681 ترليون، جنوب افريقيا واستراليا وكندا والجزائر وليبيا والبرازيل وفرنسا موجود بنسب متفاوتة، ويقدر الاحتياطي العالمي في 33 دولة في العالم بنحو 6622 ترليون قدم مكعب، ويتوقع في المستقبل أنه بحلول عام 2035 سيشكل الغاز الصخري ما نسبته 62% من اجمالي انتاج الصين من الغاز وسيشكل نحو 50% من انتاج استراليا من الغاز أما في امريكا فيتوقع أن تبلغ حصتها من الغاز الصخري نحو 46% من اجمالي انتاج الغاز فيها مما يؤهل هذه الدول وغيرها التي سيكتشف فيها مكامن الغاز الصخري أن تصبح من الدول المصدرة له (حسين، 2017 ص،306،305) .

إذا هو عبارة عن غاز طبيعي يكون حبيسا داخل تشكيلات الطفل الصفحي، واستخراجه يحتاج الى مزيد من المعالجة الدقيقة قبل تدفقه بشكله الجاف أو السائل، كالتسخين والتخفيف باستعمال مجموعة من التقنيات لذالك يصنف على انه غاز غير تقليدي (داود،2017 ص،46) ولاستخراجه هناك بعض التقنيات نذكر منها تقنية التكسير الهيدروليكي الافقي fractiration hidrolique التي تعتبر ابرز تقنية مستعملة حاليا، حيث تتمثل خطوات القيام بها فيما يلي:

حفر بئر بشكل عمودي الى غاية الوصول الى الصخور المرادة التي يجري اختراقها في عمق 1000أو 1500 م عندئذ يتم تدوير اتجاه القنوات لتتحول من العمودي الى الافقي. ثم يتم تصديع الصخور عن طريق حقنها بسائل خليط يضم أساسا الماء بنسبة 94% ومواد كيميائية بنسبة 0.14% والرمل بحوالي 5%، ليتم بذلك تحرير الغاز الصخري الحبيس سابقا في الصخور، ثم في النهاية يتم سحب الغاز الى السطح لتجري بعدها معالجته وتخليصه من الشوائب (داود، 2017 ص،51)

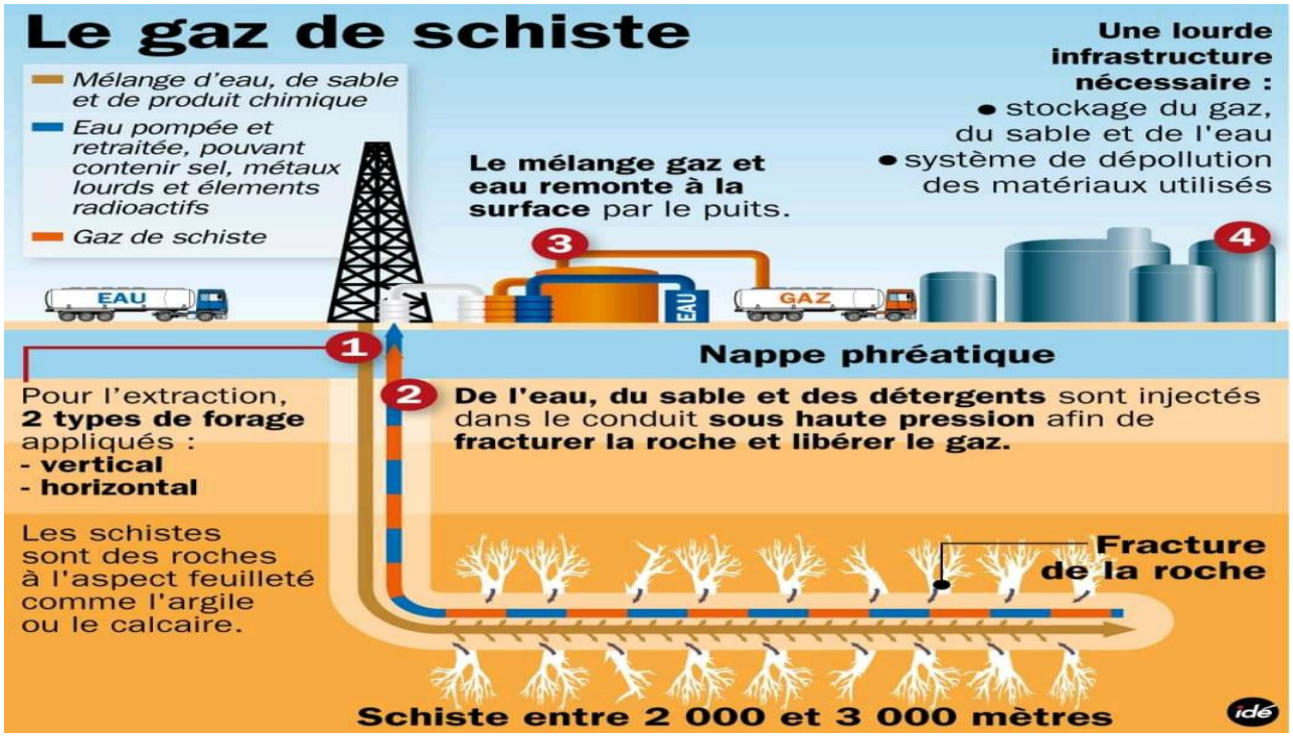

المصدر:(FUTURA, 2019)

تمتلك الجزائر 707 ترليون قدم مكعب من موارد الغاز الصخري القابلة تقنيا للإستغلال اذ يوجد الغاز الصخري في 07 أحواض : تندوف، رقان، تيميمون، إليزي، أهنت، مويدير، غدامس بركين، ومن حيث العمق على سبيل المقارنة فيصل عمق الاحواض في غدامس 8000 و16000قدم بينما يصل عمق تكوينات الغاز الصخري في الولايات المتحدة الامريكية الى 2600

و8500قدم وكمثال فإن حوض مارسيلوز الذي يتضمن أكثر من 36% من انتاج الغاز الصخري يصل فيه العمق الى 8000قدم ويبدأ من 1000قدم، أما جغرافيا فإن أغلب الموارد غير التقليدية تتداخل الى حد كبير مع المواقع المعروفة للموارد التقليدية (ضمان هياكل النقل في الموقع أو قربها النسبي) ما عدا حوض مويدير وتندوف اللذان يقعان في اقصى الغرب(دنيا، ياسين، 2017 ص.186) .

يعرف الطلب العالمي على الطاقة تزايدا كبيرا خلال العقود الاخيرة نظرا للاهمية الكبيرة المتزايدة للطاقة في كل المجالات الاقتصادية، فقد تضاعف الطلب العالمي بأكثر من 2.4% خلال الفترة 1970-2010 ومن المتوقع أن يستمر في الارتفاع خلال العقود القادمة بسبب تطور الاقتصاديات الناشئة وارتفاع النمو الديمغرافي، وحتى سنة 2012 تم تغطية 84% من الطلب العالمي على الطاقة عن طريق الطاقات الاحفورية وبما أن هذه المواد تتميز بالطابع غير المتجدد فقد زادت المخاوف بشأن الامن الطاقوي الذي أصبح يدخل في اطار الامن القومي للدول، فالتبعية الطاقوية قد تجعل الدول تتعرض أحيانا لضغوطات سياسية واقتصادية كبيرة، يضاف إلى ذلك التغيرات الكبيرة التي تعرفها أسواق الطاقة والتي أكدت بأنه من الصعب جدا التوقع بما سيحدث مستقبلا وسيكون من الخطر الاعتماد على مصادر محددة لذلك تسعى كل الدول الى تنويع المزيج الطاقوي من خلال تطوير كل الموارد المتاحة من الطاقات المتجددة والموارد غير التقليدية(دنيا، ياسين، 2017 ص.178) .

وقد أثرت أزمة تدهور أسعر النفط المستمرة منذ منتصف عام 2014 في الاقتصاد الجزائري بشكل واضح، ومن المتوقع أن يستمر هذا الانخفاض لمدة طويلة، كما انخفض انتاج الجزائر من النفط من 1.9 مليون برميل الى 1.5 مليون برميل بين سنتي 2007 و2014 وانخفض انتاجها من الغاز الطبيعي كذلك ولو بشكل طفيف من 84.8 إلى 83.3 مليار متر مكعب خلال نفس الفترة، وتأثر الميزان التجاري الجزائري الذي سجل عجزا لأول مرة منذ فترة في السداسي الاول من سنة 2015 (18.97 مليار دولار صادرات، مقابل 27.16 مليار دولار واردات) بما أن حوالي 96% من صادرات الجزائر هي من المحروقات ما تسبب في تآكل لاحتياطي الصرف الذي انخفض بدوره من 201 مليار دولار سنة 2013 الى 155.7 مليار دولار سنة 2015، وقد أدى هذا الوضع الى شروع الجزائر في البحث عن بدائل بغية تخفيض التبعية للمحروقات التقليدية وكان الغاز الصخري هو المنفذ الوحيد في نظر الحكومة أنذاك حيث أعلنت عن الشروع في استغلال الغاز الصخري في مناطق عدة بالصحراء الجزائرية ليتم حفر أول بئر من طرف شركة سوناطراك في ديسمبر 2014 في منطقة أهنت التابعة لعين صالح(داود، 2017 ص. 60.59).

وبالرغم من أن هذه الطاقة كانت ستحل مشكل الجزائر الاقتصادية إلا أن استغلالها سيخلف آثارا سلبية أكبر بكثير من الجانب الايجابي، هذا الامر الذي تجاهلته الدولة رغم خطورة الأمر على السكان المحليين خصوصا أن أماكن التنقيب كانت قريبة جدا من المدن، ومن الآثار السلبية نذكر (داود، 2017 ص. 53.52):

-إحداث زلازل ضعيفة إلى متوسطة الشدة كما حدث في بلاكبول في المملكة المتحدة عام 2011 وفي تكساس عديد المرات.

-الآثار على المياه حيث يتطلب استخراج الغاز الصخري كميات هائلة من المياه تتراوح بين 54000 و174000 متر مكعب للبئر الواحدة، وهذا سيؤدي الى استنزافها.

-صعود المواد الملوثة الموجودة طبيعيا داخل الصخرة الأم إلى السطح مع مياه التكسير ومن هذه المواد التاليومThallium ، الكادميومCadmium ، وغيرها وهي مواد سامة مسرطنة.

-إمكانية تلويث المياه الجوفية التي تكون عادة اقرب الى السطح من مكان تواجد الغاز الصخري، وهذا الامر محتمل الحدوث كون المياه المستعملة في التكسير لا يرجع منها إلى السطح إلا 70% ما يعني أن تلك المياه الخليطة بمجموعة من المواد الكيميائية سوف تتبعثر داخل طبقات الارض بصفة عشوائية.

-تلويث الجو خلال عملية الاستخراج، إذ يعتبر غاز الميثان الذي يتسلل عبر طبقات الأرض 25 مرة أكثر تلويثا للجو من غاز ثاني أكسيد الكربون، كما أن الانبعاثات الناتجة عن الغاز الصخري لا تقل خطورتها على البيئة عن الفحم.

-تؤدي أشغال الحفر الناتجة عن استخدام تقنية الحفر والتكسير الهيدروليكي إلى تشويه سطح الارض والمناظر الطبيعية وذلك بسبب كثرة الآبار التي تحفر وبقايا الاستعمال من حوله.

-يصعب التخلص من مخلفات الاستعمال والنفايات والتي ستؤدي الى تلوث البيئة والتربة وحتى الحيوان.

-أمراض ستنتقل عبر الماء أو الهواء سيتضرر منها العامل في البئر قبل السكان المحليين القريبين من مكان الاستخراج

3-الحركات الاحتجاجية والحراك الاجتماعي:

لوحظ عند استعراض الكتابات المفسرة لمفهوم الحركة الاجتماعية ان معظم الذين أسهموا في تقديم تعريف للحركات الاجتماعية قد أجمعوا على وجود عدة عناصر لابد من توافرها في الحركة الاجتماعية حتى تستحق هذا المسمى وهذه العناصر هي:

جهود منظمة، ومجموعة من المشاركين، وأهداف، وسياسات، وأوضاع وتغيير، ومكونات فكرية محركة، ووسائل تعبئة، فالحركات الاجتماعية: هي تلك الجهود المنظمة التي تبذلها مجموعة من المواطنين بهدف تغيير الأوضاع أو السياسات، أو الهياكل القائمة لتكون أكثر اقترابا من القيم التي تؤمن بها الحركة. ويمكن الاشارة إلى الحركة بالمعنى الاجتماعي باعتبارها قياما بعدد من الانشطة للدفاع على مبدأ ما أو للوصول إلى هدف معين، كما تتضمن الحركة الاجتماعية وجود اتجاه عام للتغيير، وهي تشمل أيضا مجموعات من البشر يحملون عقيدة أو أفكار مشتركة ويحاولون تحقيق بعض الأهداف العامة، كما يشير البعض إلى ان الحركة الاجتماعية تتكون من مجموعة من الناس ينخرطون في أنشطة محددة ويستعملون خطابا يستهدف تغيير المجتمع وتحدي سلطة النظام السياسي القائم ويقترن مفهوم الحركة الاجتماعية بمفهوم القوة الاجتماعية والقدرة على التأثير واحداث التغيير، ويشير هربرت بلومر إلى أن الحركات الاجتماعية هي ذلك الجهد الجماعي الرامي إلى تغيير طابع العلاقات الاجتماعية المستقرة في مجتمع معين(مجموعة مؤلفين، 2001 ص. 59.58) .

ومن جهة اخرى إن دراسة التراتب الاجتماعي لا يقتصر على تباين المواقع الاقتصادية أو المهنية التي يشغلها الافراد، بل تتطرق ايضا الى ما يمكن أن يحدث لهم في سياق البنية الاجتماعية، ويشير مصطلح الحراك الاجتماعي إلى تحرك الافراد والجماعات بين مواقع اقتصادية واجتماعية مختلفة، ويعني الحراك العمودي حركة الافراد صعودا أو هبوطا على السلم الاقتصادي الاجتماعي، فيوصف من يحصلون مكاسب في مجال التملك أو الدخل أو المكانة بأنهم يحققون حراكا الى اعلى بينما تنحدر مواقع من يفقدون هذه المكاسب في الاتجاه المعاكس إلى أسفل، وقد انتشرت في المجتمعات الحديثة ظاهرة الحراك الجانبي الذي يشير الى التحرك الجغرافي بين الاحياء والمدن والاقاليم، وكثيرا ما يلتقي الحراكان العمودي والجانبي عندما ينقل شخص على سبيل المثال من الشركة التي يعمل بها في مدينة معينة إلى بلد آخر مع ترقيته إلى منصب أعلى، وهناك طريقتان لدراسة الحراك الاجتماعي هما دراسة الحراك الجيلي الذي يشير الى ما يحققه الفرد من تحرك صعودا أو هبوطا على السلم الاجتماعي في حياته، ودراسة الحراك بين الاجيال الذي يدل على مثل الصعود والهبوط بين الابن وابيه على سبيل المثال(أنتوني، 2005 ص. 365.364) .

وحسب نظرية الصراع التي تنظر الى المجتمع على اعتبار انه حالة مستمرة من الصراع بين الجماعات والطبقات، ويتجه نحو التوتر والتغير الاجتماعي وعلى الرغم من أن المجتمع يكون في حالة مستمرة من الصراع الا ان هناك فترات مؤقتة يسودها الاستقرار، وقد يكون النسق الاجتماعي في حالة عدم التوازن في وقت معين نتيجة للتغيرات في توزيع القوة وتبدو عملية الصراع

في الحياة الاجتماعية نتيجة لاختلاف الاهداف ويمكن تحقق النظام الاجتماعي العام من خلال استخدام القهر أو القوة أي ان منظور الصراع لا يتصور الانساق الاجتماعية على أنها منتظمة حول مجموعة من القيم المتسقة بل يتصورها على أنها أنساق تتضمن مواقف صراعية، وبحكم الطبقية في المجتمع غالبا ما نشهد صراعا مستمرا بين السلطة والجماعات المناهضة من أفراد المجتمع الذين تشبعوا بالوعي، فهم في الاخير يخلقون جماعات هدفها المطالبة بتغيير الاوضاع والعدالة الاجتماعية، إن ثراء وتنوع الحركات الاجتماعية وتطورها التدريجي على مر التاريخ الحديث إلى الشكل المأمول أمر مثير للجدل ولاهتمامات مختلفة على الصعيدين العلمي والعملي، وهي اشكالية لن نفض الاشتباك فيها ولن نخرج بفائدة منها إلا من خلال عرض لمحة مهمة تختص بمقارنة عمليات الحركة الاجتماعية في إطار الصراعات والشبكات والهويات، حيث يمكننا في هذا الصدد أن نضع ايدينا على عدة فروق مهمة بين عمليات الحركة الاجتماعية والعمليات الاخرى للعمل الجماعي، بما في ذلك التحالفات المناوئة والحملات الطوعية على أهداف جماعية مشتركة على مستوى واسع، والعمل التنظيمي وذلك بالنظر الى الحركات الاجتماعية كوضع متميز في فضاء تحليلي تحدده ثلاثة أبعاد:

-حضور او غياب التوجهات الصراعية تجاه معارضين محددين.

-تبادلات غير رسمية محدودة أو غزيرة بين الأفراد أو المنظمات المنخرطة في مشروعات جماعية.

-هوية ضعيفة أو قوية بين أعضاء تلك الشبكات.

تبنى عمليات الحركة الاجتماعية وتنتج شبكات معلوماتية مكثفة وسط الفاعلين الذين يتقاسمون ويشتركون في هوية جماعية وينخرطون في صراع اجتماعي أو سياسي وهي تضاهي عمليات التحالف الذي لا تتطلب فيه العلاقات التكتيكية، الساعية الى تحقيق أهداف محددة وجود هوية جماعية، ولكن التحالف يتيح لأعضائه العمل تحت مفردات رعايته وتكفله بأمورهم، فعند التحدث عن الحركات الاجتماعية في الغالب نتحدث عن جماعات متنوعة الاهداف من خلال مصطلحات قابلة للتداول والتبادل مثل: التحالفات، الحلفاء، الشبكات وهي جميعها أشكال متميزة من مستويات العمل الجماعي، فجميع هذه الاشكال يمكن ان تكون جزءا من حركات اجتماعية والعكس صحيح(مجموعة مؤلفين، 2001 ص. 60.59) .

ومما لا شك فيه أن السياق عامل مهم ومتغير أساسي في مسار أي حركة احتجاجية بما يفرضه من مطالب لأية حركة واتجاهاتها، وأية أساليب ستعمد إليها في خوض نضالها تحقيقا لأهدافها المنشودة، وتعبيرا عن نفسها وعن مكنوناتها، وعند التطرق الى الجزائر على سبيل المثال فقد شهدت في فترة الاستعمار وما بعده وإلى غاية يومنا هذا حركات إحتجاجية سلمية أو عنيفة كان هدفها التغيير، وفي البداية لابد من الاشارة إلى أن الجزائر دولة حديثة الاستقلال وهو ما يدفعنا الى التفكير في حقيقة هيكلية شديدة الارتباط وهي ازمات الدول الحديثة الاستقلال في ما يسمى مرحلة ما بعد الاستعمار، التي تعاني اختلالات هيكلية ترتبط في شق منها بكون اغلبها دولا رضخت لحكم سلطوي في مرحلة ما بعد الاستقلال بما عناه ذلك من غياب للتعددية السياسية وحرية الرأي، حيث سيطر حزب أو تنظيم سياسي وحيد على الحياة السياسية والاجتماعية إذ عرفت الجزائر سيطرة حزب جبهة التحرير الوطني منذ الاستقلال، وقد عانت من ويلات وازمات إقتصادية وسياسية انعكست على المجتمع وأفراده فمثلا سنة 1986 كانت الازمة المالية العالمية وانهارت اسعار النفط والغاز الأمر الذي حد من قدرة الدولة على تقديم وتوفير الخدمات الأساسية للمواطن وكذا السلع الاساسية بصورة كبيرة خصوصا الدقيق والقهوة والسكر وصاحب ذلك تراجع للقدرة الشرائية مما دفع بالمواطنين للخروج إلى الشارع للإحتجاج، لتأتي بعد ذلك أحداث أكتوبر 1988 حيث ندد الشباب الجزائري آنذاك وفئات أخرى من المجتمع بنظام الحزب الواحد وبالنزعة الاشتراكية للنظام الاقتصادي وقد أخذ هذا الاحتجاج منحى تخريبي حيث دمرت ممتلكات عمومية وأملاك خاصة واشتباكات دامية استدعت تدخل الجيش الوطني الشعبي واستعملت وسائل ردعية لتفريق المواطنين. لقد مثلت هذه اللحظة ما يمكن تشبيهه بأنه تحالف وتكتل واسع بين فئات المجتمع بداية من

خريجي الجامعات والعاطلين عن العمل، وأصحاب المهن والحرف المتضررين من سياسات الانفتاح، وقد دخلت الجزائر منذ ذلك الوقت دوامة من اللاستقرار لتتواصل في التسعينات بعد الانتخابات التشريعية سنة 1991 حيث حدث تغيير جذري في طبيعة الحركة الاحتجاجية التي أخذت وجها مسلحا أدخل الجزائر في دوامة أمنية ما فتئت تسعى للخروج منها إلى يومنا هذا (مجموعة مؤلفين، 2001 ص.319.317) .

إننا نشهد اليوم هدوء نسبي للعنف بعد المصالحة الوطنية التي ساهمت في تهدئة الاوضاع في الجزائر، لكن نسق المجتمع مرهون بحتمية التغير لا يمكن لأحد أن يوقفها، لذلك فالحركات الاجتماعية لازالت قائمة تظهر بين الحين والآخر لأسباب سياسية، إقتصادية، إجتماعية، ثقافية رياضية...الخ، وما دام اقتصاد الدولة ريعي أساس عوائده النفط والغاز، لن يساعد هذا على الاستقرار الاقتصادي الذي سيؤثر حتما على المجتمع وافراده.

4-الشباب والوعي:

4-1-حقيقة عن الشباب: مصطلح الشباب تقابله باللغة الانجليزية Youth وبالفرنسية Jeunesse كيف يتم تحديد هذا المصطلح؟ كيف نعرفه ونضبط حدوده؟ متى يبدأ الشباب ومتى ينتهي؟ هل يمكن اعتباره شريحة تبدأ بسن معينة وتنتهي بسن أخرى معلومة؟ أم هو عبارة عن شريحة اجتماعية تتميز بخصائص معينة عن غيرها من الشرائح الاجتماعية الأخرى في المجتمع؟ هل هو حالة بيولوجية؟ أم نفسية؟ أم طباع في التفكير والسلوك؟ أم حالة ثقافية تستند على أسس ومرجعيات معينة وتعمل في نفس الوقت على تفعيلها وتجديدها وفقا لاحتياجاتها وبالتالي توافقها مع المقتضيات الجديدة التي يفرضها واقع تطور المجتمع. أما قاموس لاروس الصغير يقدم لنا تعريفا يركز فيه أكثر على الخصائص التي تميز هذه المرحلة، فكون الشخص شابا معناه التمتع بمجموعة من الخصائص الفيزيقية الجسمية غير المتوفرة عند غيره من الاشخاص المنتسبين لمراحل عمرية أخرى، أو هي مرحلة تطور ونمو لحالة أو خاصية الأشياء الناشئة أو المقامة حديثا والتي لم تبلغ بعد تمامها أو كمالها، وفي نظر محمود حسن أن مرحلة الشباب تنقسم إلى دورتين دورة ثانوية كبرى وتبدأ بالسنة العاشرة وتتم في حلقة كاملة حتى السنة السادسة عشر ثم الدورة الثانوية الصغرى التي يندفع فيها المراهق نحو النضج في فترة خمس سنوات تقريبا إلى أن يصل الشباب إلى سن الرشد في الحادية والعشرين أو نحوها، وعليه فهو يرى أن هذه المرحلة التي بدأت بتطورات المراهقة وانتهت بالنضج والاستقرار هي أهم ما يميز الشباب(محمد، آخرون، 2012 ص.31) .

ويعرف أحمد زكي بدوي مفهوم الشباب: الأفراد الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشر والرابعة والعشرين، أي الذين أتموا الدراسة العامة، وتتميز هذه المرحلة بانها مرحلة انتقالية إلى الرجولة أو الأمومة، ويتخطى الأفراد فيها مرحلة التوجيه والرعاية ويكونون أكثر تحررا، ولهذا تحتاج هذه المرحلة إلى عناية خاصة (زكي، 1987 ص. 452) .

وتبدأ مرحلة الشباب بتخطي مرحلة بلوغ الحلم أو اكتمال النضج الجنسي- بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية، والتي تتمثل في اكتساب القدرة على القذف بالنسبة للذكر والحيض عند الأنثى بالاضافة الى الخصائص الجنسية الثانوية، وتشهد مرحلة الشباب اقتراب شكل الجسم ووظائفه من آخر درجات النضج ومن الناحية النفسية يكاد عمر الفرد العقلي يصل إلى قمته ويتيقظ احساس الشخص بأنه لم يعد صغيرا، ويطالب بتوقف معاملته على أنه صغير، ومن الناحية الاجتماعية يتأكد اعتراف الآخرين بأن الشخص لم يعد طفلا وإن كانوا يترددون في الاعتراف به كرجل، وبداية الشباب هي بهذا نقطة تحول(عزت، 1985 ص. 28.27).

تشهد بداية مرحلة الشباب تحولات واسعة وسريعة وعميقة، في ملامح جسم الشباب، إذ تتلاشى الرهافة ودقة الثمات المميزة للطفولة وتحل محلها الفظاظة النسبية الناتجة من اختلال نسب اعضاء الجسم وأطرافه وبخاصة نسب اليدين

والساقين والأنف، ولما كان نمو البناء العظمي يسبق النمو العضلي عادة، فإن الشاب يعاني لفترة من توتر بالعظام، وتزداد سعة القلب بشكل يزيد على سعة الشرايين وقوتها، مما يؤدي إلى زيادة ضغط الدم على نحو تظهر آثاره في صورة إغماء وصداع واعياء، وتنمو المعدة وتزداد سعتها مما يترتب عليه زيادة في الشهية، ويصاحب ذلك تغيرات واسعة في عاداته فيتوقف عن أكل أطعمة كان يحبها ويقبل على أصناف لم يكن يسمح له بتناولها، ويحدث ذلك بتأثير عاملين إثنين أولهما تأكيد الشاب لاستقلاله والآخر الاحتياجات الجديدة لجسمه وللمرحلة التي هو بها(عزت، 1985 ص. 30).

ويمكن القول إن ما ركزت عليه هذه التعاريف يندرج في المراحل الاولية والمتتالية لإعداد الشباب والتي تنتهي بمرحلة الشباب المبكر حيث يكون الشاب قد بلغ فيها سن 21.11 ليدخل بعدها مرحلة النضج والرشد، أي بداية تشكل مكونات شخصيته كاملة ومنها:

نزوعه إلى الاستقلالية وثقته في الاعتماد على النفس، وميله الى التغيير والتغير والقدرة السريعة على التكيف والتوافق، طموحه الشديد، ضعفه الامتثالي لمعايير المجتمع والقيم السائدة أو التقيد دبها وممارستها دون قناعة تامة، وقدرته على انتقاء وتوظيف ما نشأ عليه من قيم عبر وسائط كثيرة يدين لها بالولاء بكفاءة، والقدرة كذلك على توظيف خصائصه العقلية بكيفية مفيدة مع الاستعداد ودون خوف على تحمل المسئولية ولعب الادوار التي يمنحها له المجتمع، كما يستشف من التعاريف السابقة أن للوسائط التنشئوية المختلفة وخاصة الاولياء وكبار السن، وقادة المجتمع ومؤسساته بصفة عامة دورا هاما ومسؤولية كبيرة في تمكين الشباب من عبور هذه الاختيارات بنجاح وبالتالي بلوغ مكانة المواطن المثالي (محمد، وآخرون، 2012 ص.32) .

ويمكن الاشارة إلى أن استخدام مصطلح التنشئة الاجتماعية socialisation بالمعنى المتداول في العلوم الاجتماعية يرجع إلى عام 1940 حيث استخدم كل من اوجبرن ونيمكوف مصطلح التنشئة في كتابهما علم الاجتماع، وزاد تداول الكلمة وبدأت تشق طريقها من خلال بحوث ومؤلفات علماء النفس والاجتماع، ولعل انتشار استخدام مصطلح التنشئة قد جعل استخدام مصطلح تربية ينحسر ويضعف ويقل بريقه (الطيب، 2001 ص.9) والتنشئة بمفهومها الواسع ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع حيث أنها لا يمكن أن تقوم إلا من خلال التفاعل بين مجموعة من الأفراد بحيث تعرف بأنها عملية تلقين الفرد قيم ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، وحسب معجم العلوم الاجتماعية فالتنشئة الاجتماعية هي إعداد الفرد منذ ولادته ليكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين (الطيب، 2001 ص.10) ويمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية هي عملية تهيئة وإعداد تشمل حياة الإنسان كلها منذ بداية تخلقه، ويتم من خلالها تنمية استعدادات الفرد الفطرية وتدريبه على تلبية حاجاته وتأهيله للحياة الاجتماعية في ظل ثقافة مجتمع ما.

لذلك يتوخى تدريب الشباب على الإقدام والتحرر من الخوف الداخلي وتجاوز الاهتمام الشخصي ليحل محله اهتمامات ومطالب العالم الواسع، وهذا يعني تخفيف الرقابة والضبط عليهم وتدريبهم وتوجيههم بعقلانية مما يؤدي إلى تجديد روحهم العملية وتمكينهم من تجاوز عوائق الاقصاء والتهميش وأعراضهما وبالتالي الاقتناع بأنهم مواطنين مكتملين في مقدورهم على التكيف مع افرازات العصر والتأثير في مجرياتها إيجابيا، وبصفة أخرى يمكن اعتبار حالة الشباب حالة من الوجود الاجتماعي المستديمة، المتغيرة الممتدة عبر الزمان والمكان، كالنهر وجوده دائم ومياهه متغيرة بمعنى أن الشباب يشكل واقعا وجوده مستمر وعناصره (أفراده) متبدلون وثقافتهم التي يحملونها متغيرة، غير أنهم يحملون قليلا أو أكثر من ثقافة سابقيهم الذين هم آباؤهم أو إخوانهم الذين يكبرونهم سنا أو أجدادهم يتأثرون بهم بدرجات متفاوتة، أما بالنسبة للإمتداد في الزمان فتعني لا توجد حدود دقيقة فاصلة بينهم، فالشباب متواصل في الزمان بين الاجيال من جهة ومتواصل عبر المكان من جهة أخرى لأنه منتشر في المكان تنتقل بينهم المعلومات والأشياء ولا تفصلهم حدود، خاصة مع عصر التكنولوجيات المتطورة في وقتنا الحالي، ومن ناحية أخرى

فسن الشباب غير محدد بزمن معين، فمنهم من يمتد شبابهم إلى سن الأربعين ومنهم من يتوقف عند منتصف العشرينات، ومنهم من يبدأ شبابهم في الثامنة عشر أو أقل ومنهم من يبدأ في سن العشرين، وهذا وفقا للنضج المبكر والمتأخر الذي يختلف من شخص لآخر(محمد، وآخرون، 2012 ص33) .

تاريخيا يعد الشباب القوة المحركة للأمم تتوقف عليه المشاريع العظيمة، لما يتميز به من ثمات الإدارة والحيوية والحماس والقدرة على إنجاز المهام الصعبة، ولما يحمله من طموحات ورغبات في الحرية والكرامة والعزة، ولما يتوق إليه من مثل، وما يتمتع به من سعة خيال ومواهب، فهو الشعلة المتوهجة القادرة على خلق المعجزات، وجعل الاحلام حقيقة، وهو الذي يقود دوما التغيير نحو الاحسن، وينقذ أمته مما يحدق بها من مخاطر، وشباب الجزائر كغيره من شباب العالم غير شاذ عن ذلك، فتاريخه القديم والحديث يشهد له بذلك حيث كان في الطليعة وحاضرا بقوة في الفترات الصعبة من تاريخ المجتمع، قدم فيها مثالا للتضحية والإثار ونكران الذات، وتعتبر مرحلة الشباب المرحلة التي تتوقف عليها المراحل اللاحقة للإنسان وعليها يتأسس إستقراره الاجتماعي، ما يجعله يتميز بالاندفاع نحو المستقبل والرغبة الشديدة في انجاز الاهداف وتحقيق الطموحات، فتأتي أفعاله ومواقفه استجابة لذلك، يتسابق فيها مع الزمن حتى لا تفوته فرص الحياة تلك التي يراها البعض تهورا وخروجا عن المعقول، هؤلاء من لا يدركون معنى الشباب ومعنى أحلامه التي إن ضاعت ضاع معها مستقبله. وتزداد أهمية الشباب في مجتمعنا الجزائري أكثر بأهمية وزنه الديمغرافي، فحسب نتائج التعداد العام للسكان لعام 2008 فإن فئات أعمار الشباب تأخذ حصة الأسد، إذ بلغت نسبة الذين تقل اعمارهم عن 15 سنة 28.5% وأقل من 20 سنة 38.88% وأقل من 25 سنة 49.97% وأقل من 30 سنة 60.04% وأقل من 35 سنة 68.07% وأقل من 40 سنة 94.93%، وهكذا نلاحظ أن الشريحة تمثل نسبة 46.88% مما يدل على الاهمية العددية للفئة العمرية ما بين 15 التي تكتسيها شريحة الشباب في المجتمع في الوقت الراهن، مع العلم أن النسبة المئوية لهذه الشريحة عرفت تغيرات هامة منذ إحصائيات عام 1966 إلى اليوم مرتبطة بالتغييرات السكانية العامة التي شهدها المجتمع الجزائري(محمد، وآخرون، 2012 ص11) .

ورغم المكانة التي يحظى بها الشباب في السياسات الوطنية المتمثلة في سياسات التربية والتعليم والتكوين المهنيين والتعليم العالي والعمل والشباب والرياضة ومؤخرا المؤسسات الصغيرة والمؤسسات الناشئة واقتصاد المعرفة، التي تمثلها وترعاها وتشرف عليها عدة وزارات هدفها الأساسي هو تربية وتعليم وتكوين الشباب وتأهيلهم وتأطيرهم اجتماعيا ثقافيا ورعايتهم، زيادة على المؤسسات التي سخرت لهم من أجل تشغيلهم وتوفير مناصب عمل لهم واعانتهم على انشاء مؤسساتهم الخاصة في نطاق النظام الاقتصادي الاجتماعي الجديد، إلا أن التحولات العميقة والسريعة التي يمر بها المجتمع الجزائري غير المعزول عن محيطه الاقليمي والدولي من جهة، وازدياد طموحات الشباب واحتياجاتهم ومطالبهم تجاوزت قدرة الرعاية المتوفرة من جهة أخرى، جعلته يشعر بالتهميش والغبن بسبب عدم تحقيق طموحاته في الاستقرار الاجتماعي، وتعد ظاهرة انتشار العزوبة وتأخر سن الزواج في أوساط الزواج على سبيل المثال من المؤشرات الهامة الدالة على تأخر سن الاستقرار الاجتماعي لهذه الفئة وما يترتب عليه من آثار اجتماعية، لأن ذلك يشير بدوره إلى ظاهرتي البطالة وأزمة السكن في المجتمع (محمد، وآخرون، 2012 ص12) .

وقد كان للتحولات الاجتماعية الشاملة التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال، من تصنيع وتعليم وتحديث وتحول ريفي وحضري الأثر البالغ على تحول نمط معيشة السكان وأدت إلى تغيرات إجتماعية ثقافية كبيرة تجد صداها وتجلياتها عند فئة الشباب، فمنذ مطلع الثمانينات برزت إلى السطح ظواهر شبابية هامة تستوقف العام قبل المتخصص تجلت في البداية في ظاهرة البطالة التي عبر عنها يومئذ بـ الحيطيست، وهم الشباب الذين يقضون يومهم مستندين إلى جدران البيوت في الاحياء

منتظرين دورهم في الحصول على منصب عمل، كما شهد على المستوى المحلي تحولات اقتصادية وسياسية واجتماعية مؤثرة تمثلت أساسا في بروز علاقات اجتماعية جديدة قائمة على المنافسة، تراجعت المؤسسات الاقتصادية العمومية التي ساهمت من قبل في توفير فرص العمل فاسحة المجال للشباب من خلال المبادرات الفردية والقطاع الخاص والشراكة والاستثمار، وفي خضم جميع هذه التغيرات والتحولات برز الشباب كفاعل قوي في الاحداث التي عرفها المجتمع الجزائري عبر فيها عن غضبه ورفضه للواقع وتطلعاته إلى حياة أفضل، آخرها الحراك الاجتماعي في أواخر 2019 والذي ساهم في تغيير نسبي للمنظومة السياسية للبلاد (محمد، وآخرون،2012 ص21) .

4-2-مفهوم الوعي:

يبدو أن كلمة الوعي أخذت حظها من التطور في الاستعمال، على نحو مواكب لارتقاء حياتنا الفكرية والثقافية فقد كانت هذه الكلمة تستخدم للجمع والحفظ وفي مرحلة لاحقة صارت تستخدم بمعنى الفهم وسلامة الإدراك، وكان علماء النفس في الماضي يعرفون الوعي بأنه شعور الكائن الحي بنفسه وما يحيط به، ومع تقدم العلم وتعقد المصطلحات والمفاهيم أخذ مدلول (الوعي) ينحو نحو العمق والتفرع والتوسع ليدخل العديد من المجالات النفسية والاجتماعية والفكرية وصار هناك كلام كثير عن تنمية الوعي وتجلياته إلى جانب الحديث عن تشتته وانقساماته وعلاقته بالخبرة والثقافة والنظام العقلي، كما كثرت المجالات التي يضاف إليها الوعي فهناك وعي الذات والوعي الاجتماعي، والوعي الطبقي والسياسي والثقافي...الخ، وكثر أيضا الحديث عن ما يسمى باللاوعي ولعلنا نلمس هذه المسائل عبر الحروف الصغيرة كالتالي (عبد الكريم، 2000 ص.11.9):

-تستخدم كلمة الفكر وكلمة الثقافة وكلمة العقل وكلمة الخبرة في المجالات الحضارية المختلفة، وفي بعض الاحيان تلتبس مدلولات هذه الكلمات وتتداخل وتتقاطع، والذي يهمنا هو ابراز علاقة مدلول الوعي بمدلولات هذه الالفاظ، إن علماء النفس كثيرا ما يشيرون إلى أن الوعي يعني مجموع ما يتحصل من الشعور والادراك والنزوع، لكن في الكتابات الثقافية العامة قد نطلق كلمة الوعي على ما تدل عليه كلمة الإدراك أو كلمة الشعور منفردتين.

إن الوعي محصلة عمليات ذهنية وشعورية معقدة، فالتفكير وحده لا ينفرد بتشكيل الوعي، فهناك الحدس والخيال والاحاسيس والمشاعر والارادة والضمير، وهناك المبادئ والقيم ومرتكزات الفطرة، وحوادث الحياة والنظم الاجتماعية، والظروف التي تكتنف حياة المرء، وهذا الخليط الهائل من مكونات الوعي يعمل على نحو معقد جدا ويسهم كل مكون بنسبة تختلف من شخص لآخر مما يجعل لكل شخص نوعا من الوعي يختلف عن وعي الآخرين. هذه المكونات في مجموعها تشكل لدى الفرد ما يمكن أن نسميه (الخبرة) لكن مفردات خبرات الواحد منا لا تطفو على السطح ولا تكون في متناول العقل دائما.

-إن عمل العقل يتم في سياق أقرب الى الثبات والاستمرار إنه نوع من الاشراق الدائم، أما الوعي فيشبه عمله سلسلة من الومضات واللمحات التي تتفاوت شدة وقوة، إن الانسان نتاج الثقافة فهو عند مولده كائن خام ولا تتبلور امكاناته إلا في بيئة مادية ووجدانية وثقافية ملائمة، إن ثقافة أو حضارة موضوعة في معناها الاثنولوجي الأكثر اتساعا هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع، فالثقافة عند تايلور تعبر عن كلية حياة الانسان الاجتماعية وتتميز ببعدها الجماعي والثقافة مكتسبة ولا تتأتى من الوراثة البيولوجية (دنيس، 2007 ص.31).

وإذا كان تايلور أول من اقترح للثقافة تعريفا مفهوميا فإنه لم يكن الاول تماما الذي استخدم الكلمة في الاثنولوجيا، فقد كان واقعا تحت التأثير المباشر لعلماء إثنولوجيا ألمان كان قد قرأ لهم منهم غوستاف كلام الذي كان يستعمل كلمة ثقافة في معنى موضوعي على خلاف التقليد الرومنطيقي الجرماني وخاصة للإحالة على الثقافة المادية، لقد كان التردد بين مفهومي ثقافة وحضارة لدى تايلور مميزا لسياق العصر واذا ما انتهى الى تفضيل ثقافة فلأنه فهم أن حضارة وحتى إذا ما وضعت في معناها

الوصفي الخالص، تفقد خاصية المفهوم الاجرائي حالما تطبق على المجتمعات البدائية وذلك بفعل أصلها الاشتقاقي الذي يحيل على تكوين المدن وبفعل المعنى الذي اتخذته في العلوم التاريخية حيث تعني رئيسيا الانجازات المادية الضعيفة النماء في تلك المجتمعات، تمتاز كلمة ثقافة بالنسبة الى تايلور في التعريف الجديد الذي وضعه لها بكونها كلمة محايدة تمكن من التفكير على نطاق الانسانية كافة (دنيس، 2007 ص32) .

وعموما تعني الثقافة في نظر علماء الاجتماع جوانب الحياة الانسانية التي يكتسبها الانسان بالتعلم لا بالوراثة ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع، وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة ومن جوانب عيانية ملموسة مثل الاشياء والرموز أو التقانة التي تجسد هذا المضمون (أنتوني، 2005 ص.82).

-الصورة الذهنية من وسيلة من أهم الوسائل التي يستخدمها الوعي في تنظيم الخبرة والتعامل مع الوجود الخارجي، وذلك لأن الوعي لا يستطيع الاحاطة بالعالم الذي نعيش فيه عن طريق الحواس وحدها، لذلك يحتاج الى القياس إلى جانب الحدس والخيال، لكن في حقيقة الامر يعتبر الاستدلال هو أساس هذه العملية فقد عرف موريس أنجرس الاستدلال بأنه فعل التصور عن طريق الذهن، وهذه العملية هي نتيجة لفعل رزين ومتعقل والعقل يفرض نفسه فيها كونه المسئول عن منح الادوات الفكرية الضرورية التي تسمح بالتقصي والتساؤل عن طبيعة الكائنات والأشياء والظواهر (أنجرس، 2004 ص.35).

الصورة الذهنية عبارة عن مجموع المعارف والمعتقدات التي يحتفظ بها الفرد وفقا لنظام معين عن ذاته وعن العالم الخارجي الذي يعيش فيه، إنها ناتج عمليات مزج عقلي وثقافي هائل يقوم به الوعي من أجل تكوين أرض معرفية صلبة، يتخذ منها أساس للعبور نحو استيعاب مفردات الوجود، إن حاجة الوعي الماسة للصورة الذهنية تجعله يشكل صورا مبسطة ومختصرة لما يرغب في التعامل معه، وتلك الصور كثيرا ما تكون قاصرة أو زائفة أو مشوهة مما يحولها في احيان كثيرة من أداة تعين الوعي إلى حجب تحول بينه وبين رؤية الأشياء على ما هي عليه (عبد الكريم، 2000ص.12).

-العناصر المكونة للوعي تترك تأثيرا بالغا في درجة تماسكه واستمراريته، وهو بحكم تلك العناصر أقل صلابة وثباتا، فنظرا لصلة الوعي الوثيقة بالواقع وبالمعطيات الثقافية المختلفة وبالمنتجات التقنية والاجتماعية التي تتسم بالتطور المستمر، فإنه يظل مطالبا بان يجدد نفسه إذا ما أراد أن يقوم بوظيفته في تنظيم الخبرة وإدراك التحديات وطرح الحلول لمواجهتها، والحقيقة ان كثافة المنتجات الثقافية وسرعة التغيرات الاجتماعية قد جعلت الوعي قاصرا عن ملاحقتها واستيعابها وبالتالي فهمها وترميزها وارسال الاشارات الملائمة للتعامل معها، ونحن هنا لا نتحدث عن وعي الافراد ولكننا نتحدث عن الوعي المجتمعي الذي يشكل حصيلة وعي الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكثيرا ما يظهر هذا الوعي أنه لا يملك من الحساسية ما يكفي لإدراك المتغيرات المتسارعة، وتأسيس الاستجابات الملائمة لها ولاسيما في الأزمات، حيث يرتبك مثقفو الامة في تشخيص الأزمة كما يختلفون اختلافا واسعا في اسلوب مواجهتها، ويبدو أن ذلك يعود إلى التقاليد الاجتماعية الصارمة والقيود السياسية وخوف الناس من التغيير. إن مهمة الوعي الكبرى أن يشكل ذاته ويبني استقلاله بعيدا عن سجن الواقع، وخارج معطيات البرمجة الثقافية المحلية وخارج حدود النظام الاجتماعي السائد، وذلك بغية الحصول على أفضل إدراك للحقائق الموضوعية المختلفة، وهذا التحديد للمهمة الكبرى للوعي هو الذي يفرض عليه السعي إلى تجديد نفسه، حيث أن الواقع الموضوعي والتاريخي الذي يسعى الوعي إلى القبض عليه وتفكيك رموزه، ليس واقعا مشخصا مكتملا نضع برنامجا زمنيا لاستيعابه وانما هو واقع متجدد باستمرار (عبد الكريم،2000 ص.18.12) .

5- الشباب وحراك الغاز الصخري بعين صالح:

بتاريخ 21 ماي 2014 سمحت الحكومة رسميا باستغلال الغاز الصخري كبديل للغاز الطبيعي، وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التي ألقت بظلالها على الجزائر بفعل انخفاض أسعار النفط في السوق العالمية مما أثر بالسلب على الاقتصاد الوطني، إلا أن انطلاق عمليات التنقيب بضواحي عين صالح بمنطقة أهنت في أواخر سنة 2014 رافقتها العديد من الاحتجاجات المحلية، التي لعب فيها الشباب دورا أساسيا بامتياز، فقد تم عقد عدة اجتماعات من قبل الشباب وناشطين حقوقيين في أشهر (جوان، سبتمبر، نوفمبر،) كان هدفها التوعية وضرورة فتح الحوار مع الحكومة من أجل ايقاف العملية برمتها، ثم تحولت المشاورات واللقاءات الى خرجات ميدانية وان كانت في البداية محتشمة، إلا ان القلة من الشباب ممن عرف وتعرف جيدا على القضية سارع للخروج للشارع وطالب الدولة بفتح باب الحوار مع الشعب، فالقضية استراتيجية ومن حق المواطنين أن يكون لهم رأي في تحديد مستقبلهم، فبدأت الوقفات والتظاهرات كما اعتادها الشعب الجزائري من قبل بغلق الطرق، فلجأ الشباب الى غلق الطريق الوطني رقم واحد في شقه الرابط بين عين صالح وغرداية، لكن القوة الأمنية تدخلت لفض الاحتجاج وكان ذلك في ديسمبر 2014، وبسبب تعنت السلطة وعدم السماح للمواطنين بالتظاهر، ناهيك عن التكتم الاعلامي انذاك عن القضية ومازدا الطين بلة هي تصريحات الحكومة وعلى رأسها الوزير الأول السابق عبد المالك سلال الذي صرح بأن العملية ستتم وستتواصل مهما حصل، كل ذلك دفع بسكان مدينة عين صالح جميعا كبار وصغار شيوخ وأطفال نساء ورجال إلى الانضمام الى المسيرات والتظاهرات الرافضة لاستغلال الغاز الصخري وكان ذلك مع بداية 2015، حيث عرفت المدينة ولأشهر متوالية حراك اجتماعي سلمي يطالب بالحوار وايقاف عمليات التنقيب، وأثناء ذلك عرف الحراك تزايدا ملحوظا للمشاركين والرافضين للقضية من ولايات عديدة حيث انتشرت المسيرات في ولايات مجاورة (تمنراست، أدرار، ورقلة، إليزي، غرداية ...الخ) ومن المواطنين من سافر الى عين صالح لحضور المظاهرات وتقديم الدعم اللازم.

صورة(1) التقطت من الميدان معبرة عن وقفة احتجاجية للشباب أمام مدخل مدينة عين صالح

ثم انتقل السكان الى ساحة عمومية أمام مقر دائرة عين صالح وقرروا الاعتصام بالمكان حتى تنصت الحكومة ويتحقق الهدف من وراء هذا الاحتجاج السلمي، لكن وللأسف تدخلت القوة الأمنية (شرطة مكافحة الشغب) مرة أخرى لتفريق المعتصمين في ساحة سميت بعد ذاك بساحة الصمود، وقد كان لهذا الفعل عواقب وخيمة حيث إندلعت ثورة حقيقية قادها شباب المنطقة وقادوا هجوما عنيفا على مقر الشرطة بالمدينة وأحاطوا بالمكان من كل جهة وحدث اشتباك بين الطرفين

استخدمت الشرطة فيها الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي نتجت عنه خسائر مادية، (إحراق بعض سيارات الشرطة) وبعض الاصابات التي نقل اصحابها الى المستشفى على وجه السرعة، ولم يتوقف الأمر إلى أن بدأ بعض أعوان الشرطة باطلاق الرصاص الحي في السماء لإخافة المواطنين، ليتدخل السيد قائد القطاع العسكري بعين صالح ويقف بين الطرفين ويطالب بايقاف العراك، وطلب من المتظاهرين العودة لساحة الصمود ووعدهم بعدم تدخل القوة الامنية بعد اليوم (مقابلة ميدانية بعين صالح) .

صورة(2) التقطت من الميدان توضح الصراع الذي حدث بين الشرطة والمحتجين بعين صالح

وبعد عودة الاستقرار النسبي للحراك والتظاهر الى ساحة الصمود واصل سكان المنطقة إعتصامهم ومسيراتهم الرافضة لاستغلال الغاز الصخري، وقد ساهم طلبة الجامعة في توعية المواطنين من خلال الندوات والمحاضرات التي كانت تنظم بين الحين والآخر من تأطير أساتذة ومختصين في مجال الطاقة أمثال(ساقني عبد الكريم مهندس دولة في المحروقات، الأستاذ الطالب أحمد عبد الله أستاذ في مادة الفيزياء، الدكتور عزي صالح طبيب في امراض القلب والشرايين) وقد ساهمت هذه اللقاءات في توعية الشباب والمواطنين عامة بماهية الغاز الصخري وكيفية إستغلاله والآثار السلبية الناتجة عن العملية (مقابلة ميدانية بعين صالح).

بالإضافة الى استغلال وسائل التواصل الاجتماعي كفضاء لنقل الوقائع ولتوعية المواطنين في الجزائر بالقضية وقد استغل الشباب الفايسبوك واليوتيوب كثيرا في التوعية ودعم القضية، وهنا يمكن الاشارة الى نظرية الاستخدامات والاشباعات المفسرة لظاهرة الاتصال حيث أن سكان عين صالح وبسبب هذه الاحداث وقضية الغاز الصخري سعوا للبحث عن فهم عميق للقضية من الوسائط التي يمكن أن تحقق ذلك، وللإشارة فقد قدم هذا المدخل للمرة الاولى عام 1959 حينما تحدث عالم الاتصال المعروف katz عن ضرورة تغيير الخط الذي تسير فيه بحوث الاتصال والتركيز على كيفية تعامل الناس مع وسائل الاعلام بدلا من الحديث عن تأثيراتها على الجمهور، واقترح على الباحثين الى ضرورة التحول الى دراسة المتغيرات التي تلعب دورا وسيطا في هذا التأثير من خلال البحث عن اجابة السؤال: ماذا يفعل الجمهور مع وسائل الاعلام ؟ ويعنى مدخل الاستخدامات والإشباعات في الاساس بجمهور الوسيلة الاعلامية التي تشبع رغباته وتلبي حاجاته الكامنة في داخله ومعنى ذلك أن الجمهور ليس سلبيا يقبل كل ما تعرضه عليه وسائل الاعلام بل يمتلك غاية محددة من تعرضه يسعى الى تحقيقها، فأعضاء الجمهور (شباب وسكان عين صالح) هنا باحثون نشطون عن المضمون الذي يبدو أكثر اشباعا لهم وكلما كان مضمون معين قادرا على تلبية

احتياجات الافراد كلما زادت نسبة اختيارهم له. وجمهور المتلقين يعتبر طرف فاعل ونشط في العمل الاتصالية لذلك فهو يقوم بدور بمجرد اشتراكه فيها كمظهر للذات الاجتماعية، وكطرف في هذه العملية يسهم في حركتها واستمرارها ومن هنا يأتي الدور النقدي الذي يقوم به كل عضو من اعضاء الجمهور فيما يتعلق بعناصر العملية كلها والدور النقدي الذي يؤثر في استمرار عملية التعرض او الانسحاب منها بناءا على الممارسة التي يقوم بها العضو كطرف في العملية الاعلامية. (حنان، 2012 ص.22) .

صورة(3) التقطت من الميدان معبرة عن وقفة احتجاجية بوسط مدينة عين صالح

لقد ساهمت هذه الاحداث في تكوين رأي ووعي لدى شباب المنطقة الذين كانوا في الصفوف الاولى لمجابهة قضية استغلال الغاز الصخري، فقبل القضية لم نكن نعرف شيئا عن حقيقة الغاز والغاز الصخري لكن بعد الاحداث لجأ الشباب إلى النت والى مواقع التواصل وبحثوا عن ما يحتاجون إليه قصد فهم الموضوع جيدا مما يساعدهم في الدفاع عن قضيتهم السلمية، ومما لوحظ بان التظاهرات أخذت طابع سلمي منظم، حتى أنهم تصدوا لأي أفعال غير أخلاقية (سرقة، اعتداءات...) من أجل أن يبقى الاعتصام والاحتجاج سلميا بامتياز.

ومما لوحظ أيضا من وعي الشباب وضع صفحة على الفايسبوك سميت In Salah Sun and Power حيث جمعت هذه الصفحة شباب عين صالح من أجل التعاون في توعية الآخرين ونقل انشغالهم إلى ابعد وخارج الجزائر بعرض صور التظاهرات والمحاضرات وأي فعل ثقافي قد يفيد ومما وجدناه في محتوى الصفحة بعض الافكار التي تعبر عن وعي ورقي في التفكير لدى الشباب حيث طالبوا الدولة بدراسة علمية أكاديمية موضوعية حول استغلال الغاز الصخري تنشر في مجلات علمية دولية وتحظى بهيئة قراءة وتحكيم رصين، في حين أبدع البعض الآخر في وضع أغاني حول صمود سكان عين صالح ورفضهم لقضية الاستغلال القاتل، وتلحينها وفق أناشيد وطنية فمثلا: أغنية صامدون صامدون ...الغاز الصخري لا نريد ...وقد تم تلحينها وفق أنشودة موطني.

وقد شارك البعض من الشباب في تدويل القضية في موقع change.org العالمي من خلال استبيان رافض لاستغلال الغاز الصخري عدو الانسان والبيئة، تحت عنوان !Nous défendons la vie #Non au gaz de schiste وقد كنت شخصيا ممن شارك في الأمر، ويشار بأن هذا الموقع هو موقع غير ربحي تُديره شركة أمريكية يعمل على تسهيل الالتماسات من قبل الجمهور العام من خلال إنشاء عرائض إلكترونية والدعوة للتوقيع عليها بهدف تغيير شيء ما يتوفر الموقع على أكثر من 100 مليون مستخدم، ويُستضاف برعاية حملات لمنظمات خيرية أخرى. يقع المقر الرئيسي للشركة في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا.

وقد قام بعض الشباب في ظل عدم التغطية الجيدة للإعلام بالقيام بخرجات ميدانية لبعض المناطق التي علموا بأن تنقيبا يحدث بها من قبل شركات وطنية وأجنبية واكتشفوا حقائق لم تعرض بالأمس أو اليوم على التلفاز الوطني، فليس ببعيد عن عين صالح 25 كلم قرب بئر بحمود الذي عرف تنقيبا عن الغاز الصخري حيث تم ملاحظة كوارث بيئية (نفايات وحفر، وأحواض مليئة بالمواد الكيميائية، وتشققات على سطح الارض) فليس هناك أي أثر لما يسمى بالأمن الصناعي أو البيئي الذي يخبروننا به في الخطب السياسية. وفي خرجة ميدانية أخرى جائت بعد أن سمع سكان المنطقة عن نفوق الجمال والطيور المهاجرة بمنطقة أهنت 160 كلم عن عين صالح والتي عرفت أول بئر للتنقيب عن الغاز الصخري، وبعد وصول الشباب للمنطقة لاحظوا المشاهد الكارثية من جراء الحفر والتنقيب وترك المخلفات والنفايات السامة وخصوصا البركة والأحواض التي شربت منها الحيوانات مما أدى إلى نفوقها (مقابلة ميدانية بعين صالح) .

وفي محاضرة ألقاها الأستاذ ساقني عبد الكريم مهندس دولة في المحروقات واطار في شركة سوناطراك أكد بأن استغلال الغاز الصخري أمر جديد على الجزائر وعلى شركة سوناطراك وهذه الاخيرة ليست لديها الخبرة الكافية للإستغلال، واعطى كمثال الكارثية التي حدثت في حوض بركاوي بورقلة بعد عملية تنقيب فاشلة حيث تداخلت الطبقات بفعل المياه والحفر، ونزلت الطبقة التي كانت الاشغال فوقها ليطفو فوقها الماء إلى يومنا هذا، ولم تستطع الشركة فعل شيء لإحتواء الكارثة، بالإضافة إلى أن هذه العملية تستنزف خيرات البلاد ومخزونها من المياه فما يستعمل في البشر الواحد يكفي لشرب مليون مواطن في اليوم .(الكريم، 2015)

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تشهد مرحلة مشاورات لتعديل الدستور وبغية امتصاص السلطة لغضب سكان الجنوب وتخوفا من مخاطر انزلاق الأوضاع الى ما لا يحمد عقباه، صرحت الحكومة على لسان عبد المالك سلال عن إنهاء عملية الحفر لمدة أربعة سنوات حتى تتمكن الدولة ومؤسسة سوناطراك من القيام بالدراسات الضرورية، بالمقابل جاء الدستور الجديد ليربط بين مسألة حماية البيئة بالجنوب من خلال الصياغة حيث جاء في الديباجة: يظل الشعب الجزائري متمسكا بخياراته من أجل الحد من الفوارق الاجتماعية والقضاء على التفاوت الجهوي ويعمل على بناء اقتصاد...وتنافسي في اطار التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة، فعبارتي الفوارق الاجتماعية والتفاوت الجهوي في ديباجة الدستور دليل على أن احتجاجات أهل الجنوب وتحديدا سكان عين صالح كان لها صدى وتأثير على صناع القرار (نوال، عاشئة، 2016 ص.282.281)

صورة (04) لإحدى مسيرات المواطنين في احتجاجات عين صالح، الرجال في الامام والنساء في الخلف

6-خاتمة:

لقد كانت أحداث الغاز الصخري بعين صالح حراكا اجتماعيا سلميا بامتياز، لعب فيه شباب المنطقة بمستوياتهم المختلفة دورا بارزا في تدويل القضية بعد أن تشبعوا بالوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فكما يفعل شباب أي دولة عند الدفاع عن بلادهم ضد الأعداء، قام شباب عين صالح بالدفاع عن قضيتهم بسلمية وباحترام، وحسب ما جاء في سورة البقرة: وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون "(القرآن الكريم، البقرة، 216) فإن الأزمة ولدت العمل عند شباب عين صالح وساهمت بشكل أو بآخر في تنمية الوعي الذي ساهم وسيساهم مستقبلا في حياتهم الخاصة وتنمية مجتمعهم المحلي بشكل عام، لقد تعلموا الكثير عن قضايا البيئة وحقوق الانسان، وأهمية التعلم والبحث العلمي، والحوار والتشاور والاقناع، لقد ساهمت الاحداث في صناعة القادة من شباب المنطقة فهم مستقبلها ومستقبل الجزائر، وعبروا بصرخاتهم ومحاضراتهم واللافتات التي رفعوها بلغات العالم المختلفة بأن الغاز الصخري ليس حلا من أجل مستقبلنا الطاقوي فهو سيزول اليوم أو غدا لكن الطاقات المتجددة هي اكثر استدامة وأفضل سبيل لضمان الأمن الطاقوي للجزائر.

7-قائمة المصادر والمراجع:

الطيب، مولود زايد. (2001)، التنشئة السياسية ودورها في تنمية المجتمع، المؤسسة العربية الدولية للنشر، الاردن.

أنجرس، موريس. (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر الجزائر

بكار، عبد الكريم. (2000)، تجديد الوعي، دار القلم دمشق.

بومخلوف، محمد. وآخرون. (2012)، الشباب الجزائري واقع وتحديات، ط1 مطبعة الملكية، الجزائر.

بدوي، أحمد زكي. (1987)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.

جيدنز، أنتوني. (2005)، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.

حجازي، عزت. (1985)، الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

كوش، دنيس. (2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.

مجموعة مؤلفين. (2001)، الحركات الاجتماعية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الغنجة، هشام داود. (2017)، ثروة الغاز والنفط الصخريين بين الاعتبارات الاقتصادية والتحديات البيئية-حالة الولايات المتحدة الامريكية-مجلة السياسة العالمية مخبر الدراسات السياسية والدولية جامعة بومرداس، العدد01.

بوضاضة، دنيا. العايب، ياسين. (2017)، الغاز الصخري بين متطلبات التنويع الطاقوي وتحديات استغلاله في الجزائر، مجلة دراسات اقتصادية جامعة قسنطينة 02 عدد 4 مجلد 01.

زياني، نوال. لزرق، عائشة. (2016)، الحماية الدستورية للحق في البيئة على ضوء التعديل الدستوري الجزائري 2016، مجلة دفاتر السياسة والقانون جامعة قاصدي مرباح، العدد 15.

فراج، قاسم أحمد محمد. (2009)، مصادر الطاقة وتلوث البيئة، مجلة آراء الخليج، عدد 57.

حسين، بان علي. (2017)، الآفاق المستقبلية لإنتاج النفط الحجري والغاز الصخري وتأثيرهما في سوق النفط والغاز العالمية، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية جامعة البصرة العراق. المجلد 19 عدد03

الشهري، حنان. (2012.2011)، أثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية على العلاقات الاجتماعية، اطروحة لنيل درجة الماجستير جامعة الملك عبد العزيز السعودية.

عبد الكريم، الساقني. (2015). قناة اليوتيوب: لا للغاز الصخري لا، تاريخ الاسترداد: 2019/11/05، من: https://www.youtube.com/watch?v=k1on38V_62I

FUTURA. (2019). Exploitation du gaz de schiste: quels dangers? Consulté le 11 10, 2019, sur https://n9.cl/9sml7

- Arabic references in English:

Zayed, A. M. (2001). Political Socialization and its Role in Community Development. Arab International Publishing House, Jordan.

Morris, A. (2004). Research Methodology in the Humanities. Dar El Qasba Publishers, Algeria.

Abdelkarim, B. (2000). Renewing Awareness. Dar Al-Qalam, Damascus.

Boumehlouf, M. et al. (2012). Algerian Youth: Reality and Challenges. Royal Printing Press, Algeria.

Zaki, A. B. (1987). Dictionary of Social Science Terms. Lebanon Library, Beirut.

Giddens, A. (2005). Sociology. Arab Organization for Translation, Lebanon.

Hegazi, A. (1985). Arab Youth and its Problems. National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

Denis, K. (2007). The Concept of Culture in the Social. Arab Organization for Translation, Lebanon.

Group of Authors. (2001). Social Movements in the Arab World. Centre for Arab Unity Studies, Beirut.

Ghanja, H. D. (2017). Shale Gas and Oil Wealth: Economic Considerations and Environmental Challenges - The Case of the United States of America. International Politics Journal, Laboratory of Political and International Studies, University of Boumerdès.

Bouadda, D., & El Aib, Y. (2017). Shale Gas: Between Energy Diversification Requirements and Challenges of Exploitation in Algeria. Journal of Economic Studies, University of Constantine 2.

Ziani, N., & Lezar, A. (2016). Constitutional Protection of the Right to Environment in Light of the Algerian Constitutional Amendment of 2016. Journal of Politics and Law Notebooks, University of Kasdi Merbah.

Faraj, Q. A. M. (2009). Energy Sources and Environmental Pollution. Gulf Views Magazine.

Bann Ali, H. (2017). Future Prospects for Oil and Shale Gas Production and their Impact on the Global Oil and Gas Market. Al-Qadisiyah Journal of Administrative and Economic Sciences, University of Basra.

Al-Shahri, H. (2012). The Impact of Using Social Networking Sites on Social Relationships, [Master's Thesis, King Abdulaziz University, Saudi Arabia].

Abdul Karim, S. (2015). YouTube channel: no to shale gas no, refund date: 05/11/2019, from: https://www.youtube.com/watch?v=k1on38V_62I